# فلسفة التعبير لدى موريس ميرلوبونتي

**يحياوي عبد القادر**

**طالب دكتوراه بشعبة الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة مستغانم**

ظهرت مسألة التعبير لدى ميرلوبونتي لأول مرة وبشكل صريح في كتاباته في خمسينيات القرن الماضي، وقد وجدت شكلها الابتدائي في كتابه "فينومينولوجيا الادراك" في سنة 1945.

في هذه المقالة نريد أن نوضح مسألة التعبير في ظواهرية الادراك والتي تنقسم الى قسمين

أولا ننظر بأي طريقة ابتدأ بها فكرة التعبير في فينومينولوجيا الادراك، لأن فكرة التعبير في الحقيقة هي فكرة جديدة ظهرت في كتاباته في الخمسينيات بشكل تحقيق الذات في الوعي وهذا ما سوف نبرزه في الفقرة الاولى من المقال.

أما الشطر الثاني فنقوم فيه بتشريح المفاهيم الاساسية الثلاث في فينومينولوجيا ميرلوبونتي " الادراك، الجسد، العالم".

هذه الافكار أو المفاهيم الثلاث تصف بشكل محدد اشكالية التعبير عنده.

سوف نحاول في الشطر الاول أن نبرز بأي شكل سوف توصف اشكالية التعبير لدى ميرلونتي وخاصة في كتابه سنة 1945، لهذا سوف نعود الى الشرح الدقيق الذي وضعه ميرلوبونتي بنفسه، وقد وضحه في نص في أحد دروسه في السوربون. والذي يحمل عنوان "الوعي و اكتساب اللغة " في سنة 1949، والذي قال فية "أن التعبير هو الفعل ذاته الذي يحقق الوعي"، هذا الشرح البسيط و الواضح هو تقريبا الوحيد المقدم من طرف فيلسوفنا بالنسبة لهذا الموضوع أي "التعبير" و الذي يتم من خلاله التعرف على التعبير الذاتي للوعي.

لاشك أن جل الدارسين لفلسفة ميرلوبونتي يجمعون على أنه يتعامل مع بعض الاشكاليات وخاصة في فينومينولوجيا الادراك بفعل من التعالي الذاتي الترنسندنتالي وهذا التعالي هو الذي من خلاله نعمل على تحقيق الذات وتفعيلها.

ومن خلال الشروحات التي يقدمها لنا في الخمسينيات، يمكننا القول أن "التعبير" هو من الافعال المتعالية الذاتية للوعي، أو يمكننا القول أنها فكرته عن " التعبير".

ونجد هذا بدقة في كتابه سنة1945، نقوم الان من التحقق بدقة من هذه النقطة في الواقع، قبلا يجب أن نذكر أن الإشكاليات الأساسية لفينومينولوجيا الادراك هي "الكلام"، "الكوجيتو"، "الاخر". وهذه المفاهيم هي التي تحقق لنا التعالي الذاتي للوعي في الواقع و الذي يظهر بأشكال مختلفة من خلال هذه المفاهيم.

سوف نقوم من أجل ذلك بتلخيص الجوانب الاساسية للفعل المتعالي للذات وتوضيح العلاقة بين الفعل و عملية التعبير.

**الكلام:**

ما يهم في حالة الكلام هو أن يأدي معني، الكلام يعني بالضرورة وجود متكلم، أي ترسيب معاني المفاهيم، و التي تولد من "الصمت" قبل الكلام و الذي بدوره يصنع المعنى، هذى المعنى هومعنى جديد تماما مقارنة بالمعاني الموجودة بالفعل سابقا ،لأن هذه المعاني في الحقيقة عندما كنا في حالة الصمت هي معاني لا وجود لها قبل سريان الخطاب أو الكلام بهذا المعنى الكلام عند ميرلوبونتي يبرز بوضوح من خلال ترجمة الأفكار الداخلية ما يعبر عنه الكلام ليس ليس فكر غير موجود خارج الخطاب، و انما المعنى لا يظهر الى مع الخطاب و كنيتجة المعنى دائما بهو مرادف للكلام، فالفكرة داخلك لامعنى لها الى عندما تخرج من خلال الكلام وهنا بالظبط تحدث العملية" التعبيرية".[1]

وكنتيجة المعنى موجودا دائما مع الكلام، اذا هل هناك اشتراك بين المعنى والكلام للظهور في ظاهرة المساعدة على حدوث "الكلام المتكلم"؟

يجب أن نذكر هنا أن معنى الكلام هذا ميزة من ميزات الافكار الهوسرلية، وهذا معنى متقدم من المثالية المتعالية لهوسرل، وهو من أشكال التعريف الذي يحمل موضوعية العلوم، بهذا فإن التحليلات الهوسرلية للمعنى تفترض دائما بأنه من يتكلم يفهم ما يقول ويوجد في اللغة علاقة لا تنفصم مع المعنى المثالي والموضوعي، ان "الكلام المتكلم" لميرلوبونتي يحدث من دون أي فهم مسبق للكلام الذي نتكلمه [2].

ان المعنى والدلالة ليست شيئا في ذاتها، أو فكرا ناطقا كما تصورها الميتافيزيقا بل هي عملية تأليف اعتباطية بين العلامات المشكلة للنظام الدلالي للغة ما.

« ان الدلالة تغذي الكلام، كما يغذي العالم جسدي: بواسطة حظور أصم، يوقظ انتباهي دون ينتشر أمامه» [3]

ان "الكلام المتكلم، أو الدلالة ينتمي إلى نسق العلامات التي تشير الى اشياء العالم وهو يغذي "الكلام المتكلم"، عن طريق الحضور

الصامت، لهذا النسق الثابت بينما "الكلام المتكلم" ينتمي للجسد، وهو واقعة فردية اختلافية غير متكررة، انه حوار داخلي صامت يتم بموجبه تمفصل الوحدات الصوتية لتشكيل الكلمات.

ولان العلاقة بين العلامة والمعنى غير ضرورية (اعتباطية) فان المعنى يبقى مؤجلا في الحوار الصامت، تبادل خفي للصوت والصمت، بحيث يغدو الصمت استماع لعلامات لا تقول شيئا محددا سلفا، وانما تشير وتحيل الى علامات اخرى، أي ان العلامات هي سلسلة احالات الى النسق الدلالي "للكلام المتكلم" وبهذا يصبح الصمت انتباها واستماعا وإثارة لحركة الاحبال الصوتية بشكل آلي. [4]

وبهذا يمكن ان نكون قد اعطينا تحليلا بسيطا لما يقصده ميرلوبونتي بالكلام من خلال عدة مرتكزات منها اللغة، الجسد، الصمت، المعنى، الدلالة .

**2 الكوجيتو :**

هذه الظاهرة المعبرة بشكل بحت عن "الكلام المتكلم" السالف الذكر وتلعب دور مركزي حاسم في نظام الموضوعية، إن بناء الموضوعية الميرلوبونتية يتألف من نوعين من الكوجيتو:

"الكوجيتو الصامت" و"الكوجيتو المتكلم" أما الثاني فهو يأتي بطبيعة من خلال اللغة المنشأة أما الاول يبقى دائما في الصمت، دون وجود لغة إن "الكوجيتو المتكلم" يمثل فكرنا الخالص، المترجم بشكل خاص في اللغة المتكلمة اليومية، عكس الكوجيتو "الصامت" الموجود دائما قبل الكلام، وبدقة في اللغة التي تدعم وعينا الثابت في المتعالي "النشط"[5]

بالنسبة لفيلسوفنا الوعي هنا يميز بشكل جوهري "المتعالي النشيط" هذا التعالي للوعي بالنسبة لميرلوبونتي المعنى نفسه للموضوعية، ولكن حتى يكون الضمير المتعالي موجود يجب أن يتبعه ما يسمى بسوء الفهم بالنسبة للضمير نفسه. [6]

"الكوجيتو الصامت" هذا هو أيضا بالنسبة لميرلوبونتي مثال واضح لما يسميه "غير الموجود" « mon-être» أو "غير الكائن" عكس الكائن ف"غير الكائن" هو تجلي واضح "للكوجيتو الصامت" وهو المجال الوحيد الذي يمكن أن يوجد فيه في عالمنا المليء ب"الموجود" أو "الكائن"[7]

ويكتب ميرلوبونتي بهذا الخصوص « لا يمكن أن أكون شيئا موجودا في هذا العالم ينقصني دائما هذا الامتلاد الذي يميز الموجود أو الكائن »[8] ما يميز الميرلوبونتية هذا الغياب الواضح "للكائن" أو "الموجود" مع العلم أن هذا "غير الموجود" ليس "لا شيء" أو "العدم" ولكن الشيء الفاعل في التعالي الذاتي للوعي في "الكلام المتكلم" لا يتم إلا بتفعيل هذا "غير الكائن" الذي بدوره سوف يؤسس لكائن جديد وهذا "التأسيس للكائن" هو التجلي الواضح للعالم الفينومينولوجي.

بالنسبة لميرلوبونتي المعنى يتعالى على الكلام، أي هذا التعالي الذاتي للمعنى يتولد من خلال الكلام، هذا الكلام الذي يكون فيه المعنى متعالي ليس هو في حقيقة الأمر الى "الكلام المتكلم".[9]

نستنتج أخيرا أن "الكلام المتكلم" والتعالي الذاتي للوعي ليسا الا وجهان لعملة واحدة .

**3"الآخر"**

يمثل الآخر حجرة عثرة بالنسبة لفينومينولوجيا ميرلوبونتي بحيث يعتبر الكثير من المتتبعين لفلسفته أنه لم يستطع أن يتخطى المشكل التقليدي للآخر.

من ناحية اخرى قد نتمكن من اكتشاف التجربة التوفيقية للجسد والآخر، بحيث قام بخفض غيرة الآخر بوعي مبني على كوجيتو الصمت.

ما يجب معرفته بكل تأكيد بأن جواب أو حل ميرلوبونتي ليس مقنع كثيرا بالنسبة لهذه المشكلة بحيث لا يمكن في الحقيقة رؤية علاقة حميمية بين الافكار وكوجيتو الصمت.

بالنسبة لميرلوبونتي حول مشكلة الاخر يجب تعميق "التعايش" مع الاخر، هذا التعايش الذي أصبح ممكنا مع "التعالي الذاتي" ل "كوجيتو الصمت".

بالنسبة لميرلوبونتي "كوجيتو الصمت" هذا لا يصبح كذلك إلا إذا عبر عن نفسه مع الاخذ بعين الاعتبار هوية "الوعي" للكوجيتو و"تجاوز الذات" حتى يكون كوجيتو فاعل، يجب على "كوجيتو الصمت" أن يتعالى حتى يتحرر ويخرج عن صمته الداخلي أو الذاتي إلى العالم الاجتماعي حتى نستطيع أن نكون علاقة ذاتية مشتركة مع الآخر ويمكن أن يتحقق التعايش مع الاخر في هذه الحالة التحررية "للكوجيتو الصامت" الى "كوجيتو فاعل" مع الاخر ومع العالم. [10]

اذا كنا اجتماعيين فنحن مجبورين على الخروج من صمت وجودنا ونتجاوزه الى الاخر

هذا التجاوز الذي نقوم به لكوجيتو يلعب دورا حاسما في مشكلة الاخر.

يرى ميرلوبونتي أن وقت الأنا ليس معزولا عن وقت الاخر، ذلك أن الوجود عنده هو ضرب من المشاركة، لأن الاخر يتواجد مع الذات في هذا العالم ، إنه يدرك العالم مثلي ، وإذا كان الامر كذلك فكيف يمكن معرفة هذا الاخر؟[11]

إن معرفة الاخر ممكنة بالنسبة لميرلوبونتي عن طريق جسده، لأن هذا الاخر تصدر عنه سلوكات معينة يصبح الجسد حاملا لأثر معبر عن وجوده. لكن المشكلة كيف للآخر أن يدرك وعيي به؟

للجواب عن هذا الإشكال انطلق ميرلوبونتي من رفضه للنظرة التشييئية للآخر، حيث التمييز بين الشيء في ذاته أي أشياء معروفة، والشيء لذاته أي وجود الوعي، فالموقف الموضوعي من الاخر يطرح عدة معوقات، لأنه إذا كان الاخر أمامي موجودا في الذات فإنني مضطر إلى تمييزه عني أي وضعه في عالم خارجي، ثم التفكير فيه كوعي وهو ذات مفكر فيها وذات مفكرة في آن واحد .[12]

ينتهي ميرلوبونتي بعد تحديده لمفهوم الجسد والوعي إلى أن" كوجيطو" الاخر يجعلني أفقد ثقتي في أن وحدتي يمكنها أن تجعلني أصل الوجود، فليس العالم هو ما أفكر فيه بل هو ما أعيشه، فأنا منفتح على العالم أتواصل معه لكني لا أملكه .

خلاصة أطروحة ميرلوبونتي أن الجسد لا تعيش في عزلة، وأنه ليس غريبا عن الآخرين فأن توجد معناه أن توجد مع الآخر. إن أقصى حالات العزلة هي في نهاية المطاف حوار مع الآخرين في العالم.

**2/ الادراك، الجسد والعالم**

لقد ابرزنا في ورقتنا هذه ثلاث اشكاليات اساسية في فينومينولوجيا الإدراك، وقد حددنا العديد من الصفات الاساسية لفكرة "التعبير" عند ميرلوبونتي، ولكن هناك ثلاثة مفاهيم اساسية اخرى يجب أن نحللها كي نسلط الضوء ونكشف أهمية فكرة "التعبير" في فينومينولوجيا الادراك، وهي "الادراك"، "الجسد" و"العالم"

نريد القول أن "فينومينولوجيا" الادراك قد كُرس لتحليل ظاهرة الجسد فينومينولوجياً، وقد قام ميرلوبونتي في هذا الكتاب بمحاولة استبدال القوة التأسيسية للوعي المتعالي بعملية ادراكية للمواضيع المجهولة والجسدانية.

بحيث أولى اهتماما كبير لمفهومي الادراك والجسد بشكل خاص وأصبحا محورين هامين ليس فقط في كتابه فينومينولوجيا الادراك وانما في جميع كتاباته اللاحقة، دون أن ننسى بالطبع مفهوم العالم الذي سوف نرى من خلال تحليلنا انه من بين المفاهيم الاساسية في كتاباته أيضا، إن الذاتية بالنسبة للفيلسوف أساسيا هو "وجود في العالم"، ولا يمكن أن توجد بشكل مستقل وغير متلازم مع العالم، يكوِن العالم والجسد مع الادراك ثلاثية أساسية في الفينومينولوجيا

الادراك:

لا يمكننا أن نخوض أبدا في فلسفة ميرلوبونتي دون الحديث عن مفهوم الادراك، هذا المفهوم أو الاشكال الذي يُعتبر مفهوم محوري في فلسفته بل أكثر من ذلك هذا المفهوم بلور فلسفة جديدة طرحها هوسرل قبل ميرلوبونتي، وكتبها في مشروع عمل عرضه سنة 1934، معنون ب "طبيعة الادراك" هذا التصور الجديد لهذه الدراسة التي بدأت تسير و التطور الكبير للبحث الفلسفي والتجريبي المعاصر، وخاصة في ألمانيا، فلسفة جديدة بدأت تظهر وبدأت تضع الأفكار الرئيسية لفلسفة نقدية جديدة في علم النفس والفلسفة، هذه الفلسفات الجديدة والتي نتحدث عنها الان وبصفة أولية فلسفة هوسرل الفينومينولوجية التي أصبحت تسيطر على الساحة الفكرية في هذه الفترة.

كرس ميرلوبونتي في هذه الفترة هذه دراسة قدم فيها تشريحا مفصلا لفلسفة هوسرل الفينومينولوجية، وكتب أيضا وخلص أيضا الى أن علم الظواهر وعلم النفس يساعدنا في اعادة النظر في مفاهيم الوعي والاحساس.

لكن ما هي تجربتنا الإدراكية ؟

دائما ما كان يغلب علينا اللجوء إلى تبني المواقف الطبيعية المتمركزة حول الأشياء الماثلة من حولنا لأن ندركها ، حينئذ لا يمكن لتجربة الإدراك إلا أن تعبّر عن فعل العالم الخارجيّ في الذات المدركة . لكن لكي نفهم الإدراك الذي قد يبدو ، مبدئيا بديهيا، يدعو " ميرلوبونتي"، تحكيم النهج الفينومينولوجي في " تعليق الحكم "[13]، إلى ان نعلق اعتقاد الموقف الطبيعي في وجود العالم باعتباره " واقعا في ذاته"، ويقترح بشكل مواز العودة إلى الأشياء ذاتها . " ميرلوبونتي " يريد هنا ان يعلق جذريا بداهة الإدراك ، محاولة منه تمكينا من رؤية مسار بناء تجربة الإدراك . [14]

لقد رفض ميرلوبونتي تلك الأفكار السابقة التي تقول أن الادراك يتوقف في ذاته على هذه الافكار السابقة، بل يتأتى ذلك عن طريق رؤية حسية، هي في الحقيقة رؤية عقلية لأن إدراكنا للأشياء هو تعرفنا على الافكار والتصورات، التصورات المطابقة لها في أذهاننا، في المقابل انه يرفض أيضا النظرة الواقعية التي تختزل الادراك في ظاهرة موضوعية تحدث في العالم عن طريق التقاء موضوعات أخرى تكون مكتملة، بل أن عملية الادراك تأتي بتزاوج الفكرتين[15].

يرى ميرلوبونتي أن الادراك هو وسيلتنا الاولى في الرؤية والانفتاح على العالم والاتصال به، والادراك ظاهرة أصيلة لأنه يقوم على الطبيعة التي هي قاعدته الاساسية «لا نستطيع أن نفهم شيئا إذا لم يكن مدركا أو قابلا للادراك»[16] إنه نقطة البدأ لكن النشاطات والمعاني، ومن دونه لا يمكن أن نتصور أي ظاهرة، فهو المجال الوحيد الذي نفهم فيه ونتصور كل شيء، ففي كل مرة ندرك فيها مباشرة الأشياء، ما ندركه هو ما يظهر من الأشياء وليس مجرد انطباعات أو تمثلات.

إلا انه من زاوية النظر هذه ، العودة إلى الأشياء لا تعني البحث عن حقيقة موضوعية كامنة فيها، بل استعادة تجربة الإدراك التي تمنحنا الانفتاح على الأشياء[17] .

الإدراك هو ما يجعلنا نتواصل مع عالم ظاهراتيّ ، لذلك يدعونا " ميرلوبونتي " إلى أن نعيد اكتشاف هذا العالم حيث تعلّمنا في البداية جيّدا وبشكل أفضل ما هو المنظر الطبيعي قبل وقوفنا على ما تقدّمه لنا الجغرافيا من معرفة نسقية منظّمة في ذلك الغرض. [18]

إن الإدراك لا تتعلّق بالشيء المدرك ، بل بالتجربة الإدراكية للعالم التي تمنحنا القدرة على إدراك شيء ما . وأن نقول أوليّة الإدراك معناه أن نضع أنفسنا في قلب حدث الإدراك بما هو وحدة أصلية لمعيش مدرك وحضور مدرك [19].

يمكننا القول إذن نحن لا ندرك أشياء وحسب ، بل هي التي تنكشف أمام وعينا نتيجة لخبرته السابقة. يبقي الإدراك عصيّا عن الفهم في غياب التجربة التي في اطارها تظهر الأشياء وتنكشف ؟

في نظر " ميرلوبونتي " الأشياء نفسها وشكل ظهورها بالنسبة لذات مدركة لا ينبغي النظر إليهما باعتبارهما مشكلين متمايزين عن بعضهما . أ ليس حين نسأل ما هي الأشياء هو في الآن نفسه سؤال عن كيف تظهر الأشياء لنا ؟ وصف الظاهر الإدراكي للأشياء المدركة إذن ينبغي أن يتحقق انطلاقا من وضعيّتنا الوجودية حيث نكون دوما على صلة مع العالم الذي نكون فيه والأشياء المدركة[20].

هذا يعني أنّ مهمة " العودة إلى الأشياء ذاتها " لا تنجز إلى على ضوء الإدراك الذي يمنحنا المعنى الأوّل لواقع الأشياء أو لوجودها .

**الجسد–العالم:**

يمكننا القول إن مفهوم الجسد يحتل موقعا مركزيا في فلسفة ميرلوبونتي ، ويعتبر كتابه الأساس في فينمنولوجيا الادراك، الذي نشر عام 1945 ، هو الكتاب الذي عرض فيه صاحبه بصورة مفصلة نظريته الخاصة بالجسد، بحيث أنه قرر بأن الجسد ليس مجرد شيء قد نصادفه في العالم ، بل هو الأصل الجذري لكل إدراك، أو على حد تعبيره : " إن جسدي هو محور أو قوام العالم، وهذا يعني أنني أعي وجود العالم بواسطة جسدي "[21] .

لقد أكد وبصفة قاطعة في فينومينولوجيا الادراك على أن الجسد هو بنية كبنية العالم المعاش والتي تحمل الحقيقة.

يمكننا أن نفهم هذه البنية الكامنة في كل تحليلات العالم المعاش المتطور باستمرار في فينومينولوجيا الادراك، أي كبنية أصلية وحيدة معبرة عن الاحساس والمعنى، وهو الاطار الذي تنطلق منه كل التعبيرات والمعارف المعبرة عن العالم وتصبح بهذا ممكنة، أي أنه يصبح بهذا أولوية لمعرفتنا لهذا العالم. [22]

يقول ميرلوبونتي أن الجسد أولوية أنطولوجية، وهو عماد وأساس كل التفسيرات التي نقدمها عن العالم، في ظل الأفكار الموجودة في فينومينولوجيا الادراك والحجج المقدمة من طرفه، أي ميرلوبونتي في الجزء الثاني من الكتاب، قد تجاوز الكوجيتو الديكارتي الذي حصر الوجود الذاتي في الفكر، الى كوجيتو وجودي لنا، من قبل دافع وجودنا الفعلي في العالم بين الأشياء والاخرين، أي كعالم نعيشه ونحياه، ويعتبر أن أجسادنا ليست مستقلة عنا بل هي من بين الوسائل التي نعبر بها عن أنفسنا بشكل طبيعي، بل هي من بين الوسائل التي نعبر بها عن انفسنا بشكل طبيعي، وبما أن أجسادنا غير منفصلة عن العالم فهي تحيلنا دوما الى الآخر الموجود معي في نفس العالم، فخبرتي وخبرة الاخر بالنسبة لأجسادنا هي واحدة، وهي ذاتها تحيلنا إلى وجود واحد، فمن هذا اننا حين نرى الآخر، في الحقيقة يحدث أن نجعل أجسادنا موضوعا والاخر جانب الخبرة والافق الذي أرى منه العالم[23].

وهنا نتكلم مع الاخر رغم أننا لا نتعامل الا مع انفسنا، فجسد الانسان هو الجسد الفينومينولوجي الذي أحقق فيه ماهيتي.

ركز بونتي على مفهومي الإحساس والإدراك الحسي للوصول إلى الحضور في العالم وامتلاكه عبر الجسد، فبونتي لا يرى أن هناك أولوية في الوجود للذات على العالم ،ولا للعالم على الذات، ذلك أن العالم ليس هو الموضوع الذي يقع أمام الوعي أو الذات، بل هو «العالم البدائي الأصلي الذي يسبق كل معرفة علمية»،[24]وهو مصدر الشعور والتأمل والتفكير، وإن كل الموجودات ترتكز في وجودها على هذا العالم البدائي الأصلي الذي يصفه "بالأولي"، حيث «يتعلم الفكر النشيط والمرتجل الخاص بالعلم كيف يكتسب ثقلاً، في ارتكازه على الأشياء، ذاتها وعلى نفسه ويصبح مرة أخرى فلسفة» [25]، ذلك أن الفلسفة انفتاح الذات على الوجود، وعودتها متشربة بصور الموجودات.

ويؤكد في العين والعقل أن «جسدي المرئي المتحرك هو في عداد الأشياء، إنه واحد منها، وهو يتشابك في نسيج العالم، وتماسكه هو تماسك شيء ما، ولكن بما أنه يرى ويتحرك، فهو يمسك بالأشياء في دائرة حوله، وهي ملحقة به، أو امتداد له، إنها مغروزة في لحمه، وقد تكون جزءاً من تعريفه الكامل»[26]، لأنه عندما يبحث في الجسد الرائي(من يَرَى)،والجسد المرئي(ما يُرَى)يجد أنها متداخلان، ولا يكون التداخل عن طريق قوة خارجية، أو طاقة ما غامضة تحل في الجسد وتغادره بعد حين، إنما بفعل قوة من طبيعة الوجود الجسدي ومرافقة له.

هنا يظهر أن بونتي قد انتهى من ثنائيات تضع بين طرفيها نقيضين، أو طرفين منفصلين كالوعي والوجود أو الجسد والروح...علماً أنه لا يرفض وجود هذه الأطراف، فهو الذي يركز على دور الجسد في الوعي والوجود ولا يرفض مفهوم الروح والجسد، إنما أعطى الروح معنىً جديداً،ذلك أنها لا تعيش منعزلة عن الجسد، ولا توجد من طبيعة مخالفة لطبيعة الجسد،فهي برأيه«النتيجة الطبيعية للرؤية ونضجها الخاص، فأنا أقول عن شيء إنه يحرك،أما جسدي نفسه فيتحرك، وحركتي تنتشر فيه...فهي ليست عمياء عن ذاتها،إنها تشع من ذات»[27] فالذات روحانية بجسد،بل يذهب بونتي أبعد من ذلك فاللحم–وهو مادة للجسد–عنصر من عناصر الوجود الإنساني ،إذ «يوجد في منتصف الطريق بين الفرد"الحيزي–المكاني" وبين الفكر، نوع من مبدأ مجسد يقدم أسلوباً للوجود في كل مكان يوجد فيه جزئية منه...ومع ذلك فهو التصاق بالمكانية وبالآنية،وأكثر من ذلك:هو تدشين ل"أين"و"متى"...وهو في اللحظة نفسها ما يجعل للأحداث معنىً ما، أي أن الأحداث الجزئية تنتظم حول شيء ما»[28].

إن مفهوم الجسد حسب بونتي ما كان ليكون من دون علاقات متبادلة دائماً بين حاس ومحسوس، راءٍ ومرئي، مرئي ولامرئي، ذات وأخرى، بل أبعد من ذلك، بين أذن وأخرى، عين وأخرى، وجسد وآخر،كتب صاحب "المرئي واللامرئي":«عندما تلمس يدي اليمنى يدي اليسرى في أثناء لمسها للأشياء، وبوساطة ذلك اللمس الحقيقي يتحول "الذات اللامس" إلى مصاف الملموس، وينزل في الأشياء لدرجة أن اللمس يتم من وسط العالم وكما لو كان في داخل الأشياء.

لذلك يحل بونتي الإشكال الهوسرلي"تعليق الحكم". فهو ينتقد هوسرل كونه لم يتخذ موقفاً نهائياً حيال القضايا التي بقيت في حيز التعليق، ويقول:«نحن نطلب من الكاتب والفيلسوف النصيحة أو المشورة ولا نقبل أن يتركا العالم معلقاً،و إنما نريد أن يتخذا موقفاً، فهما لا يستطيعان أن يتنحيا عن مسؤوليات الإنسان المتكلم»[29] بذلك تتضاعف مسؤولية الفنان والفيلسوف والأديب وحتى العالم والناقد، أي كل ما يمتلك عيناً ثاقبة،وقدرة على رؤية ما لا يُرَى،ويخصص الفنان والفن بهذه المهمة،فالفن ليس تصويراً أو نسخة مقلدة للواقع، بل هو إعادة رؤية للواقع برؤية أعمق تستنطق الموجود وتجعله متكلماً ومعبراً مثل ذاته المتكلمة والمعبرة.«الرؤية هي لمس بواسطة النظرة، فيجب أن تنتظم في نظام الوجود الذي تكشفه لنا...أنا نفسي مرئي من الخارج تماماً كما سيراني أخر،مقيماً في منتصف المرئي وفي طريقي للاهتمام به من مكان معين»[30].

لقد اخفقت الفينومينولوجيا نوعا ما في هذا الامر، فهي لا تعتقد أننا نستطيع فهم الانسان والعالم بطريقة اخرى لا تبدأ من حقيقتها، وهي أيضا فلسفة متعالية تعلق الحكم على تأكيدات الموقف الطبيعي من أجل أن تفهمها، كما أنها فلسفة يظل العالم بالنسبة لها موجودا من قبل دائما، في حين يرى ميرلوبونتي أن العالم يظل موجودا حتى أثناء صمتنا [31].

في المقابل فإن الجسد يعرف و يتلمس ذاته من الخارج أثناء ممارسته للعملية المعرفية، فهو بذلك يحاول أن يتحسس نفسه دوما لأنه أثناء ذلك يكون من الخبرة يكون هذا كافيا للتميز بين الاشياء التي نستطيع القول انها تلمس اجسادنا عندما تكون عديمة الحركة، ولا ينخدع الجسد أثناء التلمس هذه لأنه قد كون خبرة عنها، ومع هذا فالجسد موضوع عاطفي، بينما الأشياء الخارجية هي ما يتمثلنا فقط. هذه رؤية موجزة عن المفاهيم الأساسية في فلسفة ميرلوبونتي و علاقتها بالعملية التعبيرية.

**الهوامش:**

1. Merleau-ponty, signes, (Paris, Gallimard Librairie, 1960), p. 101 .
2. Ibid., p. 105 .
3. Merleau-Ponty, perception, structure, language : a collection of essays ( edited by John Sallis ). Atlantic Highlands, N.J. : Humanities press, c1981, p. 37.
4. سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 79.
5. الشاذلي الساكر، ما فلسفة الجسد؟، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، ط1، تونس، س1994، ص34
6. المرجع نفسه،ص35
7. Jocelyn Benoist, *Entre acte et sens. La théorie phénoménologique de la signification* (Paris),Vrin, coll. «Problèmes et controverses », 2002), p. 10.
8. Ibid., p. 13 .
9. الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية ، مرجع سبق ذكره، ص80.
10. الشاروني حبيب، فكرة الجسم، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت،س2009، ص96
11. المرجع نفسه،ص97
12. المرجع نفسه،ص98
13. Husserl Edmund, Méditation cartésiennes (1929), Vrin, 1953, p14.
14. جمال مفرج، الطريق الى الفلسفة، منشورات الاختلاف، ط1، س2009، ص184
15. Merleau-ponty, La phénomenologie de la perception, (éditions Gallimard, Paris 1945), p111 .
16. Ibid. ,p 115
17. Ibid p.446.
18. Ibid , p447
19. الطريق الى الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص183
20. M.Merleau-ponty ; Le visible et l'invisible,Gallimard, Paris 1978. P 321
21. La phénoménologie de la perception, op.cit, p. 97.
22. الطريق الى الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص182

23. M.Merlau-ponty : Resumés de cours, collége de France 1952-1960, Gillmard, Paris 1968. P 137
24. إبراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة،دار مصر للطباعة،القاهرة،ط1، 1968م.، ص 548.
25. موريس ميرلوبونتي، العين والعقل، تقديم وترجمة: حبيب الشاروني،منشأة المعارف، الإسكندرية،د.ط ،،ص 13.
26. .المرجع نفسه ص19
27. بونتي،موريس،العين والعقل،م.س،ص 18.
28. بونتي، موريس ميرلو،المرئي واللامرئي،أعد النص:كلود لوفر،ترجمة وتعليق:د.سعاد محمد خضر،مراجعة:الأب:نقولا داغر،ط1، 1987 ص 127-128.
29. بونتي،موريس،العين والعقل،ترجمة:حبيب الشاروني،م.س،ص 13-14.
30. المرئي واللامرئي، مرجع سبق ذكره ،ص 123.
31. الطريق الى الفلسفة، ، ص173